المحاضرة الثالثة

-التاريخ الحضاري للمملكة النوميدية:

1-أصولها وبوادر تأسيس المملكة النوميدية:

أ-صورة الانسان المغاربي في المصادر التاريخية القديمة:

تجدر الإشارة قبل ان نستعرض اهم **ملامح المملكة النوميدية** التطرق الى أصول تسميتها وسكانها المتميزين وكما جرت العادة في تاريخ معظم شعوب البحر الأبيض المتوسط فان المصادر المحلية التي تروي عن أصول سكان المغرب القديم تكاد تكون منعدمة لولا المصادر الخارجية (نعني المصادر المصرية اولا– اي الكتابات الهيروغليفية – والمصادر الكلاسيكية ثانيا – اي النصوص الاغريقية واللاتينية الرومانية) و رغم تنوع هذه المصادر التي تسمح لنا التزود بمعلومات قيمة عن سكان المنطقة الا انها في غالب الأحيان امتازت بعدم موضعيتها بل حملت مغالطات تاريخية في حق شعوب المنطقة و الأسباب في ذلك تعود الى النظرة الاثنو–مركزية (تمجيد خصال حضارة القوي على حساب الشعوب المغلوبة) التي تحلت بها خاصة كلا من الحضارة الاغريقية و الرومانية اتجاه باقي شعوب البحر الأبيض المتوسط (**اطلقت عليها تسمية البرابرة على كل الشعوب التي لم تهضم ثقافة الغالب**) و مثال تاريخ المغاربة عينة من هذه النظرة الضيقة. فالعديد من هذه المصادر قد اختلفت في إعطاء التسمية الحقيقية لسكان المغرب القديم فقد نجد مصطلح "**الليبي**" عند المصريين و الاغريق الذين اخذوه من هؤلاء و في العهد الروماني نجد اسم "**النوميد**" الذي طاف في ساحة الاحداث التاريخية التي شهدتها المنطقة الغربية للمتوسط و كذا اسم " **المور**" و " **الجيتول**" و **النزامونس**" و " **الغرامونت**" و من المميزات التي اتسمت بها هذه الأسماء ان جلّ النصوص التاريخية قد صنفتها الى صنفين حسب انماطها المعيشية بين قبائل المضر و الوبر أي بين قبائل المزارعين المستقرين و قبائل بدو رحل سكنوا الصحراء الشاسعة. لقد أشار المؤرخ الاغريقي الى هذا التنوع لما ذكر وجود قبائل ليبية مستقرة غرب بحيرة " ترتونيس " وهي بحيرة جافة الان ومن بقاياها تتمثل في منطقة العرق الشرقي التي تشترك فيها الجزائر وتونس وقبائل مارست الترحال بحثا عن المناطق الرعوية لماشيتها وهذه الصورة قد

انعكست في بناء الأنماط السياسية في المنطقة بين النظام القبلي والنظام الملكي الذي ساد منذ القرن الثالث قبل الميلادي على الأقل في المناطق الساحلية والأراضي المجاورة لها.

ب-التطور التاريخي للقبائل الليبية :

إن ما نعرفه عن اسماء سكان المغرب القديم من **الليبي و النوميدي و الجيتولي** هو ما تركه لنا غيرنا من كتابات تكاد تكون مرتبطة بأحداث تاريخية كصراعات و حروب (الحروب مع المصريين و حرب المرتزقة مع القرطاجيين و الثورات ضد التواجد الروماني) كما نستلهم منظوماتها الاجتماعية دائما من خلال نصوص إثنوغرافية تحدثت عن خصائص هؤلاء و عاداتهم و تقاليدهم و ديانتهم (هيرودوت)، فما لبثت أن تحولت إلى معلومات هامة حول تاريخ سكان المغرب القديم رغم تداول و تعاقب الحضارات عليها و محاولات ادماجهم في هذه الاطر الثقافية الوافدة مثلما حدث مع الرومان في سياساتهم الاستيطانية.

لقد شكلت الكتابات الهيروغليفية المصرية مصدرا هاما لتشكيل الصور الحقيقية لسكان المغرب القديم و معرفة أصولهم و أسماء قبائلهم و اشتهر ت في ذلك العديد من المواقع الأثرية المصرية على غرار معبد – الكرنك – في عهد الملك – ستي الأول (الأسرة XIX) بحيث نجد بها قائمة اسمية للشعوب التي هزمتها الجيوش المصرية، فخلدتها ومجد ملوكها هذه الانتصارات على المغاربة في واجهات أعمدة – الكرنك – و من بين رموز الكتابة الهيروغليفية التي تشير إلى الليبيين رمز – العصى المعقوفة – التي نجدها مغروسة في الرمل و التي ترمز الى قبائل – التهانو – وتوضح أيضا صلاية مصرية ذات الوجهين المسماة – بالمدن أو الغنائم الليبية - التي تعود إلى عهد ما قبل الأسرات و في أسفلها و أقصى يمين الواجهة مشاهد متسلسلة (من الأسفل إلى الأعلى) لصور لانواع من الاشجار و المحتمل انها شجرة الزيتون ثم تليها مشاهد لمجموعة من الضأنيات (الغنم) و مجموعة أخرى من الحمير ثم مجموعة من صور البقر او الثيران، كما يعتبر رمز العصى المعقوفة (أداة الصيد) من بين الرموز الشائعة في مشاهد النقوش الصخرية لمواقع عديدة في الأطلس الصحراوي و الطاسيلي ناجر على الأقل و هي التي تعبر إحدى دلالات الأنظمة الاجتماعية المتمثلة حياة الصيد بدليل تجاور اشكالها بالمشاهد الكبرى للحيوانات المرحلة الطبيعية (المناخ الرطب) . كما تطرقت نفس المصادر المصرية الى حقيقة انتماء الشعب – التهانو – الى العائلة الكبيرة الليبية، بحيث نجد بها أربعة مجموعات من القبائل فمنها من تتواجد اقصى شمال في الجهة الغربية للدلتا موزعة عبر الساحل الليبي و هي على شكل ثلاثة مجموعات، : التهانو، الربيو آو الليبو ثم الميشاوش ، أما الأراضي الواقعة طول نهر – النيل – فتتواجد بها قبيلة التماهو. كما يخبرنا نص البردي – انستازيا ا–(عن تشكيلة الجيش الذي صخر

لاسترداد الأمن بمقاطعة – ارونا-، حيث تألف من : الشردانه – قهاقه – ميشاوشه و الزنوج و هذا النص البردي اذا ما اعتمدنا على مقاربات – شاباس – يعود إلى فترة - راعمسيس II – أو ابنه – مرنبتاح -، يظهر أهمية الإنسان الليبي في النظام العسكري الفرعوني و هذا إن دل على شيء إنما يدل على دراية المصريين لخصوصيات الليبيين من جهة بحكم تجاورهما و تقاسمهما لحيز جغرافي مهم في شمال افريقيا و لان العنصر الليبي قد ادرك أهمية نهر النيل في منطقة مسها الجفاف الشديد.

إذن وفي نفس الإطار استنادا إلى الحوليات المصرية، صنف المؤرخون الإغريق كذلك وعلى رأسهم – هيرودوت – في كتابه التواريخ، الجزء الرابع، القبائل الليبية إلى الشرقيين والغربيين وأضاف في تقسيمه عنصر تحديد النمط ألمعيشي لهؤلاء، فميز منهم الليبيين المستقرين والرعاة و أضاف في هذا التقسيم العنصر الوافد الذي استقر في المنطقة والمتمثل في الاغريق و الفينيقيين، كما نلفت الانتباه في هذه التصنيفات و على غرار الاغريق حتى الرومان قد ذكروا لنا في وصف سكان المغرب القديم التوزيع الجغرافي لهؤلاء الليبيين، بحيث اتضح انه و في العهد الروماني انتشار قبائل رحل المتمثلة في قبائل – الجيتول - في معظم المناطق الواقعة خارج – الليمس – و الخارجين عن السيطرة الرومانية، أما المناطق الشمالية و الهضاب فهي موطن – للنوميد – من الشرق إلى الغرب و هذا ما نستشفه عند المؤرخ الروماني – **سالوستيوس** – في كتابه " **حروب يوغرطة، نص XVIII**" الذي ذكر لنا هو الاخر عن أصول سكان المغرب القديم و عن النوميد، بحيث صنف وجود **عناصر محلية** متمثلة في قبائل الجيتول و أخرى ليبية كما تطرق الى **عناصر أخرى و افدة** من البحر و حسب اسطورة التي نقلها لنا سالوستيوس من الافارقة (السكان المحليون) هم بقايا لجنود من جنسيات مختلفة الذين وصلوا الى السواحل بعد وفاة قائدهم هرقل بإسبانيا و ذكر المؤرخ اللاتيني جنسيات هؤلاء المتمثلة في الميديين و الارمينيين و الفارسيين ، بحيث استقر العنصر الميدي و الأرميني في المناطق الساحلية للمتوسط مع ليبيي السواحل و شيدوا بها العديد من المدن القريبة من السواحل الاسبانية و تحول اسم الميديين الى "**المور**"، جراء التغيرات اللغوية الليبية، اما العنصر الفارسي فقد انتشر في مناطق نفوذ الجيتول الصحراوية و اختلطوا بسكانها و شكلوا قوة رئيسية عرفوا فيما بعد باسم **– النوميد**- أي بمعنى الرحل نظرا لطبيعة اقاليمهم الصحراوية ثم ما لبثوا ان وصلوا في فترة من فترات تاريخ المنطقة الى الأقاليم المحاذية للإقليم القرطاجي و ضموها الى ممتلكاتهم فشكلوا قوة إقليمية أصبحت تنافس قرطاجة و تزاحم أراضيها الخصبة.

يتبع...